الباب الرابع

الحملة الأكبر في تاريخ الجيش الإسرائيلي

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

العملية الأكثر تخطيطًا في تاريخ الصراع

تميزت حرب غزة بأنها «كانت العملية الأكثر تخطيطًا في تاريخ حروب إسرائيل»[١]. إذ «تم الإعداد لها في عام ٢٠٠٦، وتم أيضًا التدريب عليها مرتين قبل شنها»[٢]. و«سبق العملية استعدادات وجمع معلومات قامت بها المخابرات (الموساد) والاستخبارات (الشاباك) على مدى فترة طويلة»[٣]. وفي أثناء التنفيذ، كانت «كل مرحلة يعاد المصادقة عليها قبل تنفيذها، رغم أن الخطط سبق أن اجتازت مصادقات غير قليلة في السنتين الأخيرتين»[٤].

اختيار توقيت الحرب

«عندما استقر الرأي على العملية، تم الحديث كثيرًا عن نافذة الزمن التي أعطتها لإسرائيل الأعياد المسيحية: بين عيد الميلاد ونهاية السنة يكون العالم المسيحي مشغولًا بالاحتفالات لا بإخماد الحرائق في الشرق الأوسط. وموعد مهم آخر هو ٢٠ يناير (كانون الثاني)، يوم أداء أوباما اليمين الدستورية. لا تريد الحكومة بدء علاقاتها بالرئيس الجديد

(١) ألوف بن، مصداقية جولدستون، هاآرتس، ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٩.
(٢) ناحوم برنياع وشمعون شيفر، عدنا إليك ثانية، يديعوت، ٢/ ١/ ٢٠٠٩.
(٣) يوسي هوشع وآخرون، الحرب على غزة: الأنفاق تدمر، يديعوت، ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٨.
(٤) عوفر شيلح، الجيش يتقدم ولكن أين أولمرت ؟، معاريف، ٤/ ١/ ٢٠٠٩.

بدءًا سيئًا»[1]. أي أن التوقيت جاء في المرحلة الانتقالية بين إدارتين أمريكيتين: إدارة بوش التي منحت تفويضًا كاملًا لإسرائيل كما في حرب لبنان الثانية، وإدارة جديدة تتنصل من مسئولياتها الأخلاقية تجاه هذه الحرب بدعوى أنها لم تستلم بعد.

خطة خداع حماس

«الاستعدادات للعملية أنشأت حلفًا جديدًا بين أولمرت وباراك وأشكنازي. كان الثلاثة شركاء في السر. وأشركوا تسيبي ليفني في جزء من المعلومات فقط. بحسب أقوال واحد من المشاركين: وُجدت اتصالات بحكومات أجنبية تمت من وراء ظهرها. ولم يشركوا وزراء المجلس الوزاري المصغر قط. فقد خافوا أن يتسرب ما يُبلّغ به المجلس الوزاري المصغر. ولكن مضمون جلسة المجلس الوزاري المصغر التي أجازت العملية تسرب كله إلى الإعلام. بالرغم من ذلك، نجحوا بمساعدة طائفة من الحيل بإحراز مباغتة تكتيكية:

- كان إسهام أولمرت في الحيلة إعلانه بأنه سيعقد نقاشًا آخر لآثار العملية يوم الأحد ٢٨/ ١٢.
- وكان إسهام باراك في الحيلة فتح المعابر لقافلة غذاء في يوم الخميس ٢٥/ ١٢، وهو إجراء جلب عليه النقد ممن لم يكونوا شركاء في سر العملية.
- كان قرار المهاجمة في السبت عملًا لامعًا: فإسرائيل لا يُفترض أن تبدأ حروبًا في السبت[*].

زادت المباغتة أعداد القتلى. وكان مُهمًّا أيضًا قرار أن يُرسل في الموجة الأولى عدد كبير من الطائرات المقاتلة هاجمت دفعة واحدة بمباغتة تامة. ذكّر هذا بهجوم سلاح الجو الناجح في بداية حرب الأيام الستة»[2].

وزير الحرب باراك يسرب خطة الخداع

يقول بن كاسبيت: «في هياج المعركة، تضاءلت قصة تسريب قرار المجلس الأمني

---

(١) ناحوم برنياع وشمعون شيفر، عدنا إليك ثانية، يديعوت، ٢/ ١/ ٢٠٠٩.
(٢) ناحوم برنياع، أفضل متأخرًا، يديعوت، ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٨.
(*) يوم السبت يوم مقدس لدى اليهود يحرم عليهم فيه ممارسة أي عمل.

المصغر بدء عملية عسكرية في غزة. وهو التسريب الذي جعل آلافًا من أفراد حماس يتركون مواقعهم ويدخلون أنفاقهم. كان باراك نفسه هو الذي أراد أن يوقع الوزراء على تعهدات سرية شخصية مع انقضاء جلسة المجلس الأمني المصغر، كي لا تُسرِّب أو تُشوش المفاجأة الإستراتيجية لحماس. في نهاية الأمر كما تعلمون تسرب ذلك إلى الخارج. وهو تسرب اتهم به باراك ليفني، واتهمت به ليفني باراك. ولكن، ليس كلاهما على حق تمامًا، ولا على خطأ تمامًا، وإن تكن رواية ليفني أكثر صلابة بقليل: ففي الحقيقة لقد خطبت خطبة قتالية في يوم الأربعاء مساءً[1] في منتدى سياسي؛ لكنها لم تقل هناك أي شيء لم تقله عشرات المرات قبل ذلك. أما باراك، فمضى إلى منتدى نسيم مشعل، وأعلن أنه أمر الجيش بالاستعداد للعملية»[2].

نجاح جزئي لخطة الخداع

«على أية حال، تلقت حماس التحذير ونزلت تحت الأرض. كان الأمر يحتاج إلى عملية خداع محكم في أيام الخميس والجمعة والسبت لإخراج أفراد حماس إلى الخارج مرة أخرى:

- خرج جنود جولاني إلى السبت في بيوتهم بلغط كبير، فقد تحدث الجميع عن ذلك بالهواتف المحمولة؛ إذ تملك حماس معدات تنصت إيرانية متطورة.
- وفُتحت المعابر للإمدادات الإنسانية، بالرغم من أن باراك علم أن الإعلام سيوجه إليه النقد لذلك، بل تلقى طلب لائحة اتهام بالخيانة من آري إلداد.
- وقال ديوان رئيس الحكومة: إنه لن توجد مباحثات عن غزة قبل يوم الأحد.

نجحت الخدعة نجاحًا جزئيًّا فقط. فلم يخرج الجميع من أنفاقهم. في الأصل كان يُفترض أن تفقد حماس في الهجوم الأول من ٦٠٠ إلى ٧٠٠ من النشطاء لا ٢٥٠ ناشطًا[3]»[4].

---

(١) الأربعاء ٢٤/ ١٢/ ٢٠٠٨ قبل الحرب بثلاثة أيام.

(٢) بن كاسبيت، نلعب من سبت إلى سبت، معاريف، ٢/ ١/ ٢٠٠٩.

(٣) هؤلاء من يسميهم بن كاسبيت نشطاء هم في الواقع جنود وضباط في شرطة غزة، وهم هيئة مدنية طبقًا لأحكام القانون الدولي لا يجوز مطلقًا استهدافهم بالقصف.

(٤) بن كاسبيت، نلعب من سبت إلى سبت، معاريف، ٢/ ١/ ٢٠٠٩.

حرب بتنسيق كامل بين كافة أجهزة إسرائيل

«بدأ الأمر بضربة جوية مخطط لها، ودقيقة وفتاكة. عمل نموذجي استخباري، وغرفة حرب مشتركة بين الشاباك والجيش الإسرائيلي لأول مرة في ساعة الحرب»[1].

«قبل دقائق من هجوم سلاح الجو الأول، أعلن أشكنازي الانتقال إلى «ساعة قتال». بدّل مقر القيادة العامة للجيش الإسرائيلي القرص، ونزل إلى وكر القيادة. يوجد بين وكر مقر القيادة العامة ووكر سلاح الجو ممر تحت الأرض.

تعمل غرفة عمليات مشتركة للجيش الإسرائيلي والشاباك في بئر السبع وتل أبيب. تتم ثلاثة تقديرات وضع رئيسية كل يوم في السادسة والنصف صباحًا، وفي الرابعة والنصف بعد الظهر، وقبل منتصف الليل بقليل. الشاباك وشعبة الاستخبارات موترتان حتى آخر النزاع وتحاولان مجاراة الأحداث وإصدار تقديرات، ومقاصد وأهداف.

هنالك جهاز إعلام منظم، وحديث واعٍ وموضوعي. في كل ما يتعلق بطريقة استعمال القوة يثور انطباع أن الجيش الإسرائيلي تعلم دروس فينوجراد»[2].

دور قيادة الجبهة الداخلية والإعلام

قيادة الجبهة الداخلية هي المسئولة عن إجراءات الحماية للداخل الإسرائيلي، والتعامل مع احتمالات حدوث الخسائر البشرية، ومحاولة التقليل منها، والتعامل أيضًا مع الإصابات البشرية أو الاقتصادية أو العمرانية، يقول ناحوم برنياع: «تأخذ الحكومة في حسابها إمكان إجلاء جماعي عن البلدات. وستكون قيادة الجبهة الداخلية التي غابت في حرب لبنان الثانية العنوان الرئيسي في بلدات غلاف غزة. ولقد تمت استعدادات لإسكان عشرات الآلاف. عدم التحصين في الجنوب يقتضي تعجيل العملية وإنهاءها سريعًا قدر المستطاع.

أعلن وزير الدفاع حالة طوارئ. لم يحدث هذا في حرب لبنان الثانية. وكان من جملة أسباب ذلك معارضة وزارة المالية. يُمكّن الإعلان قيادة الجبهة الداخلية من السيطرة على القيادة»[3].

---

(١) بن كاسبيت، بلا توقعات، معاريف، ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٨.
(٢) بن كاسبيت، نلعب من سبت إلى سبت، معاريف، ٢/ ١/ ٢٠٠٩.
(٣) ناحوم برنياع، أفضل متأخرًا، يديعوت، ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٨.

الفصل الثاني

الحملة الأضخم في تاريخ الجيش الإسرائيلي

حرب الرصاص المصهور تميزت ـ حسب أحد مخططيها ـ بأنها «الحملة الأضخم في تاريخ الجيش الإسرائيلي»[١]. نعم هي الحملة الأضخم في تاريخ الصراع وذلك للحشد العسكري السياسي الإسرائيلي الكبير لهذه الحرب، والاختلال الكبير في موازين القوى المادية بين طرفيها. وكم ونوعية السلاح الإسرائيلي المستخدم فيها، ولظروف قطاع غزة الذي أنهكه الجوع والحصار.

هي الحملة الأضخم أيضًا لما واكبها من «سياسة حرب لم يسبق لها مثيل»[٢]. ولما أُرتكب فيها من جرائم حرب ولما نجم عنها مندمار هائل لم تصدقه عينا جولدستون نفسه، وهو اليهودي المتعاطف مع إسرائيل وصاحب الماضي الصهيوني[٣].

حرب هي «أكثر الحروب وحشية في تاريخ إسرائيل»[٤]، هدفها «إعادة غزة إلى القرون الوسطى»[٥]، طالت كل شبر في غزة، وطالت كل فرد وبناء فيها، حتى إن لجنة جون دوجارد سمت تقريرها: «لا مكان آمن»[٦].

---

(١) ناحوم برنياع، أولمرت حققنا ما أردنا، يديعوت، ١٨/ ١/ ٢٠٠٩.
(٢) سبق ذكره في الباب السابق في فصل شهادات دولية على الجريمة.
(٣) انظر الفصل المتعلق بتقرير جولدستون في الباب السابق.
(٤) جدعون ليفي، بطل إسرائيل، هآرتس، ١٦/ ٧/ ٢٠٠٩.
(٥) أليكس فيشمان، إعادة غزة إلى القرون الوسطى، يديعوت، ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٨.
(٦) مصدر سبق ذكره في فصل شهادات دولية على الجريمة.

وبدلًا من أن يأتي المطر بالخير، سلطت إسرائيل أمطار أسلحتها من الفسفور الأبيض الذي يصهر البشر والحديد حتى إن هيومان رايتس ووتش سمت تقريرها عن الحرب: «أمطار النار»[١].

وبدلًا من أن تسد إسرائيل حاجات القطاع، بصفتها دولة احتلال ملزمة بذلك طبقا لاتفاقية جنيف الرابعة والبروتوكول الإضافي، أنشأت مصانع لبتر الأطراف في القطاع الصامد حسب شهادة مادس جيلبرت.

نعم هي الحملة الأضخم في تاريخ الحروب الإسرائيلية؛ لأنها هي «الجولة الأكثر نزفًا في الصراع»[٢]؛ ولأنها حرب اعتمدت سياسة «شطب البيوت»[٣]، وكانت الأوامر فيها «دمِّروا مائة منزل مقابل كل صاروخ يُطلق»[٤].

هي الحملة الأضخم في تاريخ الجيش الإسرائيلي لأسباب كثيرة ومتعددة. حرب ستظل محفورة في ذاكرة الصراع، وفي ذاكرة الأمة. كما أنها ستظل محفورة في سجل النضال الفلسطيني، كحرب استطاعت فيها قوة مقاومة الصمود طيلة ثلاثة أسابيع أمام أكبر جيش في المنطقة وواحد من أفضل جيوش العالم.

حرب بتوافق داخلي ودولي وتأييد إقليمي مستتر

«منذ بداية المعركة العسكرية في قطاع غزة ساد إجماع شبه تام في الساحة السياسية حول أهداف العملية وضرورتها. من اليمين ومن اليسار، ساندوا قرار الحكومة الخروج في معركة ضد حماس»[٥]. كما «تمتعت إسرائيل بإسناد من الإدارة الأمريكية وبقدر كبير أيضًا من الدول في أوروبا. كما أنها تتمتع بتماثل مصالح نادر مع رؤساء الدول العربية المعتدلة.

هذه الدول تنقل إلى القيادة الإسرائيلية رسائل حادة لا تقل عن تصريحات السياسيين الإسرائيليين: اضربوا «حماس»، ولا تسمحوا لهنية بالتحول إلى نصر الله الثاني. في هذه

(١) تقرير أمطار النار تحدثنا عنه فصل حرب غزة والأسلحة المحظورة.
(٢) نير غونتاج، الجولة الأكثر نزفًا في الصراع، يديعوت، ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٨.
(٣) بن كاسبيت، صورة نصر، معاريف، ١٥/ ١/ ٢٠٠٩.
(٤) تقرير بعثة جولدستون، الموجز التنفيذي، مصدر سابق، ص ١٤.
(٥) ماتي توخفيلد، وقف نار آخر والصواريخ ستصل إلى تل أبيب، إسرائيل اليوم، ٣١/ ١٢/ ٢٠٠٨.

الحرب، يجب أن تخرج حماس مضروبة ومرضوضة بحيث لا ترفع الرأس لفترة طويلة»[1]. ولقد وقفت سلطة أوسلو في هذه الحرب موقف المحرض على شنها والاستمرار فيها.

حشد عسكري إسرائيلي كبير

«نشرت إسرائيل قواتها البحرية والجوية والبرية، واشتملت العمليات العسكرية في قطاع غزة على مرحلتين رئيسيتين: مرحلة القصف الجوي، والمرحلة الجوية الأرضية. وبدأ الهجوم الإسرائيلي بهجوم جوي استمر أسبوعًا، في الفترة من ٢٧ ديسمبر (كانون الأول) إلى ٣ يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٩.

وواصلت القوات الجوية القيام بدور هام في مساعدة وتغطية القوات الأرضية في الفترة من ٣ يناير (كانون الثاني) إلى ١٨ يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٩. وكان الجيش مسئولًا عن الغزو البري، الذي بدأ في ٣ يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٩،عندما دخلت القوات البرية غزة من الشمال والشرق.

وتشير المعلومات المتاحة إلى أن ألوية جولاني وجفعاتي والمظليين وألوية سلاح المدرعات الخمسة قد اشتركت في العملية. واستُخدمت البحرية جزئيًّا لقصف ساحل غزة أثناء العمليات[2].

بالإضافة إلى ذلك، فقد استدعت إسرائيل أيضًا قوات كبيرة وضخمة من الاحتياطي، ففي يوم ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٨ «أُعلن عن تجنيد احتياط بحجم ٦٧٠٠ رجل»[3]، ثم «جندت ٢٥٠٠ جندى»[4]. ومع بدء الحرب البرية، «استُدعي، بأوامر طوارئ، عدد كبير من وحدات الاحتياط»[5].

---

(١) شمعون شيفر وآخرون، حماس يجب أن تخرج مضروبة ومرضوضة بحيث لا ترفع الرأس، يديعوت، ٤/ ١/ ٢٠٠٩.

(٢) تقرير بعثة جولدستون، الموجز التنفيذي، مصدر سابق، ص ٦.

(٣) أليكس فيشمان، أين القسام؟، يديعوت، ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٨.

(٤) بن كاسبيت، بلا توقعات، معاريف، ٣١/ ١٢/ ٢٠٠٨.

(٥) عاموس هرئيل وآخرون، الهدف: كسر روح حماس، هاآرتس، ٤/ ١/ ٢٠٠٩.

«إسرائيل هي ثالث مُصدر للسلاح في العالم بعد الولايات المتحدة وفرنسا»[١]. وهي «حسب وثيقة نشرها سلاح الطب في الجيش الأمريكي، هي قوة عظمى نووية»[٢]. و«تمتلك معدات متقدمة جدًّا، كما أنها أحد من يتصدر سوق إنتاج بعض أكثر منتجات التكنولوجيا العسكرية تقدمًا، بما في ذلك الطائرات الموجهة بلا طيار.»[٣].

أما الخصم وهو حماس، فلديها: «نحو ٣ آلاف صاروخ. نحو ٨٠٪ منها قسام، مستوى دقته ليس عاليًا، وضرره قليل بشكل عام. هذا مقلق ومخيف نفسيًّا»[٤].

ولكن حتى لا نغمط المقاومة حقها، ولا نهدر أهمية ما اعتمدت عليه في مواجهة هذا الاختلال الهائل في موازين القوى، والذي سنفرد له بابا كاملًا تحت عنوان قوة الضعف وضعف القوة، نذكر هنا ما قاله عوفر شيلح في بدء الحرب البرية: «وزير الجيش ورئيس الأركان ليسا ضالين وراء التفوق النسبي. إيهود باراك يعرف جيدًا أن الاختبار لم يبدأ أمس الأول، ولن يكون اليوم ؛ بل في الأيام المقبلة. التحرك إلى الأمام سيكون معناه الدخول بشكل أكثر كثافة إلى المناطق المبنية، والمخاطرة بحدث تأسيسي تسعى إليه حماس: ضربة هامة لقوة من الجيش الإسرائيلي، اختطاف جندي، تفجير دبابة في حفرة لغم كبيرة من النوع الذي أعد في غزة في السنتين الأخيرتين»[٥].

ونذكر أيضًا أن هذا السلاح القليل الذي كانت تمتلكه حماس، تعتبره إسرائيل «محطما للتوازن لقدرته على الوصول إلى عمق إسرائيل ومراكزها الحيوية وقواعدها الإستراتيجية»[٦]. كما أن «حماس» تمتلك ـ كما يقول مات شانسيز مراسل قناة فوكس نيوز الأمريكية ـ سلاحًا «لا تستطيع إسرائيل تملكه أو التغلب عليه: سلاح المقاتل الفلسطيني»[٧]. وتمتلك أيضًا سلاح الشعب الفلسطيني الصامد.

---

(١) يوسي ميلمان، صلافة في وجه روسيا، هآرتس، ١/ ٩/ ٢٠٠٩.

(٢) أمير أورن، الجيش الأمريكي: إسرائيل تحتفظ بسلاح نووي وعلى ما يبدو بسلاح كيماوي، هآرتس، ١٣/ ٩/ ٢٠٠٩.

(٣) تقرير بعثة جولدستون، الموجز التنفيذي، مصدر سابق، ص ١٤.

(٤) عاموس هرئيل وآفي يسسخروف، هذا ما يجري اليوم خلف كواليس السياسة الإسرائيلية: هآرتس، ٢/ ١/ ٢٠٠٩.

(٥) المصدر السابق.

(٦) أليكس فيشمان، يقتربون من تل أبيب، يديعوت، ٢٢/ ١٢/ ٢٠٠٨.

(٧) مات شانسيز، سلاح حماس الذي لا تستطيع إسرائيل التغلب عليه، موقع قناة فوكس نيوز الأمريكية، ٦/ ١/ ٢٠٠٩.